

الفصل الثانى

الإمام الثانى عشر .. والمهدى المنتظر

« نحن الشعار والأصحاب والخزنة
والأبواب ، ولا تُؤْتَى البيوت إلا
من أبوابها ، فمن أتاها من غير
أبوابها سُمِيَ سارقاً »

(على بن أبى طالب - نهج البلاغة)

يؤمن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية - وهم المذهب الغالب فى
إيران - بالإمامة ، أى الولاية العامة للأمة فى أمور الدين والدنيا ،
كأس رئيسى من أصول العقيدة وصلبها ، مع الأسس الثلاثة الأخرى :
الألوهية ، والنُّبُوَّة ، والكتاب .

ويعتقدون أن على بن أبى طالب رضى الله عنه هو وصى رسول
الله ﷺ وخليفته من بعده نصاً ظاهراً وبقيناً صادقاً من غير تعريض
بالوصف بل إشارة إليه بالعين ، مستندين فى ذلك إلى أحاديث عن
رسول الله ، رُوِيَتْ بطريقهم ومتأولين أحاديث رُوِيَتْ عن طريق أهل
السُّنَّة ، وأنه بـ « حديث الغدير » قد كمل الدين وتمت الخلافة والنعمة .

وكانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة النبى عليه السلام
بداية الخلاف الذى أدَّى إلى التشيع ، سياسياً بادىء الأمر ، ثم فُرقة
دينية فيما بعد .

نسأل الله أن يجمعنا وإخوتنا الشيعة على خير دائماً فيما اتفقنا
فيه ، وهو الأكثر الأعم والأشمل ، وأن يعذر بعضنا البعض فيما

اختلفنا فيه ، وهو القليل الذى لا يُخرج مسلماً من رابطة الإسلام الأغلى والأمنع .

ويعتقد الشيعة أن العترة الطاهرة من آل بيت النبى أعداً لكاتب الله لكونهم أحد الثقلين اللذين لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، وأنهم باب حطة من دخله غفر له .

ويروون عن على بن أبى طالب قوله : « نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ، ولا تُؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمى سارقاً » (١) .

ويقولون بعصمة أئمتهم المحددين بتسلسل التوارث ، وقد تلقوا عنهم كل ما يخص الاعتقاد والتشريع ، فى الأصول والفروع .

وعندهم « أن المراد بأهل بيته مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق لأن هذه المنزلة ليست إلا لحجج الله والقوامين بأمره خاصة بحكم العقل والنقل » (٢) .

ولأن مسألة الإمامة بهذه الخطورة فهى غير خاضعة لبيعة أو انتخاب ، لكنها محدّدة فى أشخاص بذواتهم ، محصورة فى علىّ والحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين .

أخرج محمد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى الملقب بالصدوق فى كتابه « إكمال الدين وإتمام النعمة » بسنده إلى الإمام الصادق عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « الأئمة بعدى إثنا عشر أولهم علىّ وآخرهم القائم ، هم خلفائى وأوصيائى » (٣) .

(١) المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوى - دار الأندلس - بيروت ، ص ٤٦

(٢) المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوى - دار الأندلس - بيروت ، ص ٥٣

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة - ابن بابويه القمى - عن المراجعات ص ٢٢٧

أخرج الصدوق في « الإكمال » أيضاً بالإسناد إلى سلمان قال : « دخلتُ على النبي ﷺ فإذا الحسين بن عليّ على فخذه وهو يلثم فاه ويقول : أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام ، أخو إمام أبو الأئمة ، وأنت حُجة الله وابن حُجته ، وأبو حُجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم » (١) .

أخرج الصدوق في « الإكمال » أيضاً عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : « الأئمة بعدى إثنا عشر أولهم أنت يا عليّ ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها » (٢) .

والأئمة الإثنا عشر هم : عليّ بن أبي طالب ، الحسن بن عليّ ، الحسين بن عليّ ، عليّ زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، عليّ الرضا ، محمد الجواد ، عليّ الهادي ، الحسن العسكري ، محمد المهدي (٣) .

والإمام الثاني عشر - محمد بن الحسن العسكري - هو الإمام الغائب وهو المهدي المنتظر المولود في شعبان ٢٥٥ هـ ، والذي اختفى في سرداب بسامراء ، وهي حي لم يمت ، وسيظهر فيفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ويملاً الدنيا عدلاً بعد أن مُلئت ظُلماً وجوراً .

هذه باختصار الفكرة العامة عن الإمامة والمهدي المنتظر عند الشيعة أخذناها من مصادرها الشيعية الإمامية .

لكن عقيدة « المهدي المنتظر » المرتبطة بـ « الإمام الثاني عشر » عند الشيعة ، وإن كانت ركناً جوهرياً من أصول الدين عندهم ، يقابلها اعتقاد عليّ نحو ما عند جمهور علماء السُّنة .

(١) إكمال الدين وإقام النعمة - ابن بابويه القمي - عن المراجعات ص ٢٢٨

(٢) إكمال الدين وإقام النعمة - ابن بابويه القمي - عن المراجعات ص ٢٢٩

(٣) إكمال الدين وإقام النعمة - ابن بابويه القمي - عن المراجعات بترتيب الشيعة الإثني عشرية .

فقد وردت عن فكرة المهدي المنتظر ، الذى يظهر فى آخر الزمان أحاديث عن النبى عليه الصلاة والسلام ، وهى وإن لم ترو عن طريق البخارى ومسلم فقد رويت عن طريق الترمذى والنسائى وأبو داود (١) .

روى الترمذى والنسائى وأبو داود عن سنن أبو داود : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى ، يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

وروى أبو داود : « وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي منى أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويملك سبع سنين » .

وروى الترمذى : « وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى قصة المهدي قال : « فيجىء إليه الرجل فيقول : يا مهدي ؛ أعطني أعطني . قال : فيحشى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله » .

وقد أثبتت فكرة المهدي المنتظر فى كثير من كتب التراث كعلامة من أشراط الساعة ، وأنه سيظهر فى آخر الزمان بين الركن والمقام ، ويحارب بالسيف ، ويقتل الدجال .

وعلى ذلك فالقول بأن عقيدة المهدي عند الشيعة هى التى أدت إلى ظهور البابية التى انبثقت منها البهائية قول غير صحيح . فكما عند الشيعة مهدي ، كذلك عند أهل السنة .

وعلى مدى التاريخ الإسلامى كله ، وخاصة بعد صدور الإسلام والعصور الزاهرة ، وفى بيئات سُنِّية خالصة نبتت دعوات مهدوية وظهر مهديون كاذبون .



(١) ملحوظة : إن الأحاديث المروية عن المهدي عند أهل السنة - كما أعتقد - هى أحاديث آحاد ، وليست شرطاً فى عقيدة المسلم ، بل ولا حتى تدخل ضمن نوافل عباداته .. بل وربما دخلت فى كتب رواة الحديث - غير البخارى ومسلم - من طرف الإخوة الشيعة .